غناه سبحانه عن خلقه

قال: (وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه).

* **أما قوله: (وهو مستغن عن العرش وما دونه)** فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[العنكبوت:٦].

وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا، لأنه لما ذكر العرش والكرسي ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش؛ ليبين أن خلقه للعرش لاستوائه عليه، ليس لحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته، وكون العالي فوقًا للسافل لا يلزم أن يكون السافل حاويًا للعالي، محيطًا به، حائلًا له، ولا أن يكون الأعلى مفتقرًا إليه فانظر إلى السماء كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها؟ فالرب -تعالى- أعظم شأنًا وأجل أن يلزم من عُلوه ذلك، بل لوازم عُلوه من خصائصه، وهي حَمْلُه بقدرته للسافل، وفقر السافل وغناه هو سبحانه عن السافل، وإحاطته -عز وجل- به فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش وفقر العرش إليه وإحاطته بالعرش وعدم إحاطة العرش به، وحصره العرش وعدَم حصر العرش له، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق.

ونُفاة العُلوّ، أهلُ التعطيل، لو فَصَّلوا بهذا التفصيل، لَهُدوا إلى سواء السبيل وعلموا مطابقة العقل للتنزيل، ولسلكوا خلف الدليل، ولكن فارقوا الدليل، فضلّوا عن سواء السبيل، والأمر في ذلك كما قال الإمام مالك -رحمه الله- الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

إثبات إحاطة العظمة والفوقية

وأما قوله: **(محيط بكل شيء وفوقه)** فمعناه: أنه تعالى محيط بكل شيء وفوق

كل شيء فقد قام الدليل على أن العرش فوق المخلوقات، وليس فوق شيء من المخلوقات.

أما كونه محيطًا بكل شيء فذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطًا ١٢٦﴾[النساء].

وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- وإنما المراد: إحاطة عظمته: وسعةُ علمه وقدرته، وأنها بالنسبة إلى علمه كخردلة.

وأما كونه فوق المخلوقات فذلك ثابت، وقد صرحت بالفوقية آياتٌ عديدة وأحاديث صحيحة.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾[الأنعام].

وقال سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٥٠﴾[النحل].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه **قال:** «لما قضى الله الخلق كتبَ في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي» رواه البخاري وغيره.

وفي قصة سعد بن مُعاذ يوم بني قريظة، لما حكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم، قال النبي ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات».

وهو حديث صحيح أخرجه الأموي في مغازيه، وأصله في الصحيحين.

وروى البخاري عن زينب رضي الله عنها أنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ **وتقول:** «زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات».

وعن عمر رضي الله عنه أنه مرّ بعجوز فاستوقفته، فوقف معها يحدثها، **فقال رجل:** يا أمير المؤمنين: حبستَ الناسَ بسبب هذا العجوز! **فقال:** ويلك! أتدري من هذه؟

امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولةُ التي أنزل الله فيها: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[المجادلة:١] أخرجه الدارمي.

ثمانية عشر نوعًا من الأدلة لذلك

ومن سمع أحاديث الرسول ﷺ وكلام السلَّف: وجد منه في إثبات الفوقية ما لا ينحصر، والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه وكونه فوق عباده: تقرب من عشرين نوعًا.

الأول: التصريح بالفوقية مقرونًا بأداة (مِن) المعينة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[النحل:٥٠].

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨].

الثالث: التصريح بالعروج، نحو: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج:٤].

الرابع: التصريح بالصعود إليه، كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠].

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله تعالى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

السادس: التصريح بالعلو المطلق، الدالِّ على جميع مراتبِ العلو، ذاتًا وقدرًا وشرفًا، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[الشورى:٤].

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾[غافر].

وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾[فُصِّلَت].

وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾[النحل].

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾[الأعراف].

وقوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ﴾[الأنبياء].

ففرق بين «من له» عمومًا، وبين «من عنده» من ملائكته وعبيده خصوصًا.

التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء، كقوله: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾[المُلك:١٧].

العاشر: التصريح بالاستواء على العرش الذي هو أعلى المخلوقات.

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى، كقوله ﷺ: «إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا».

الثاني عشر: التصريح بنزوله كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا.

الثالث عشر: الإشارة إليه حسًّا إلى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم بربه، محمد ﷺ لما كان بعرفة، فرفع إصبعه الكريمة إلى السماء وقال: «اللهم اشهد».

الرابع عشر: التصريح بلفظ: «أين»، فقد قال النبي ﷺ للفتاة: «أين الله؟».

الخامس عشر: شهادته ﷺ لمن قال: إن ربه في السماء بالإيمان.

السادس عشر: إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ليطلع إلى إله موسى فيكذِّبه فيم أخبر من أنه سبحانه فوق السموات، فقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ﴾[غافر].

السابع عشر: إخباره ﷺ أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة، فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عدةَ مرار.

الثامن عشر: النصوص الدالة على رؤية أهل الجنة له تعالى: من الكتاب والسنة، فهم يرونه من فوقهم، كما قال النبي ﷺ : «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم فإذا الجبار -جل جلاله- قد أشرف عليهم من فوقهم **وقال:** يا أهل الجنة: سلام عليكم» رواه الإمام أحمد في المسند وغيره.

ولا يتم إنكارُ الفوقية إلا بإنكار الرؤية، ولهذا طَرَد الجهميةُ الشقين، وصدَّق أهل السنة بالأمرين معًا.

وهذه الأنواع من الأدلة لو بُسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل، فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله، وهيهات له بجواب صحيح.

رد على المتأولين

ومن تأول «فوق» بأنه خير من عباده وأفضل منهم، وأنه خير من العرش وأفضل منه، كما يقال: الأمير فوق الوزير، والدينار فوق الرهم، فذلك مما تنفر عنه العقول السليمة، فإن قول القائل ابتداء: الله خير من عباده: من جنس قوله: الثلج بارد، والنار حارة، ورسول الله أفضل من اليهود، وليس في ذلك تجميد ولا تعظيم.

وإنما يثبت هذا المعنى من الفوقية في ضمن ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه، فله سبحانه وتعالى فوقيةُ القهر، وفوقيةُ الذات، ومن أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقَّص، وعلُّوه تعالى مطلق من كل الوجوه.

فإن قيل: المراد علوه في القلوب، **قيل**: وكذلك هو، وهذا العلو مطابق لعلوه في نفسه على كل شيء، فإن لم يكن عاليًا بنفسه على كل شيء: كان علوه في القلوب غير مطابق.

وعلوه سبحانه كما هو ثابت بالسمع ترويه النصوص: ثابت بالفطرة، كما ذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي

الجويني المعروف بإمام الحرمين، وهو يتكلم في نفي صفة العلو، **ويقول:** كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان، فقال الشيخ أبو جعفر أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قطّ: يا الله، إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟ **قال:** فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل، وأظنه **قال:** وبكى، **وقال:** حيرني الهمداني، حيرني. أراد الشيخ أن هذا أمر فطر الله عليه عباده، من غير أن يتلقَّوه من المرسلين، يجدون في قلوبهم طلبًا ضروريًّا يتوجه إلى الله ويطلبه في العلو.

واعترض على الدليل الفطري: أن ذلك إنما كان لكون السماء قبلةً للدعاء، كما أن الكعبة قبلة للصلاة، ثم هو منقوض بوضع الجبهة على الأرض مع أنه ليس في جهة الأرض.

وأجيب عن هذا الاعتراض من وجوه:

أحدها: أن قولكم: إن السماء قبلة الدعاء: لم يقله أحد من سلف الأمة، ولا أنزل الله به من سلطان، وهذا من الأمور الشرعية الدينية، فلا يجوز أن يخفى على جميع سلف الأمة وعلمائها.

الثاني: أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، وكان النبي ﷺ يستقبل القبلة في دعائه.

وأما النقض بوضع الجبهة فما أفسده من نقض، فإن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل له، لا بأن يميل إليه إذا هو تحته، هذا لا يخطر في قلب ساجد.

وقول الطحاوي: (وقد أعجز عن الإحاطة خلقه). أي: لا يحيطون به علمًا ولا رؤية.

المحبة والتكليم كما يليق به سبحانه

قال الطحاوي: (ونقولُ: إن الله اتَّخذ إبراهيم خليلاً، وكلَّم اللهُ موسى تكليمًا، إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا).

وذلك لقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾[النساء:١٢٥].

وقال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[النساء:١٦٤].

والخُلّة: كمال المحبة.

وأنكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين، زعمًا منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة! وكذلك أنكروا حقيقة التكليم، كما تقدم، وعندنا أن محبته وخلته كما يليق به تعالى، كسائر صفاته.

ويشهد لما دلتّ عليه الآية الكريمة ما ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: **«لو كنت متخذًا من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله»** يعني نفسه. وفي رواية: **«إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا»**.

مع أنه ﷺ قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصًا كقوله لمعاذ بن جبل: **«والله إني لأحبك»** وكذلك قوله للأنصار، فعُلم أن الخلة أخص من مطلق المحبة، والمحبوب بها يكون محبوبًا لذاته، لا لشيء آخر؛ إذ المحبوب لغيره هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير.

الإيمان بالملائكة والنبيين والكتب

*** قال: (ونؤمن بالملائكة والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين).**

obeikandl.com

وهذه الأمور من أركان الإيمان.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[البقرة:٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[البقرة:١٧٧].

فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة، مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، **فقال:** ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[النساء:١٣٦].

وقال ﷺ في الحديث المتفق على صحته، حديث جبريل وسؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان **فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**.

ولهذا كانت الآيتان من آخر سورة البقرة لهما شأن عظيم ليس لغيرهما، ففي الصحيحين عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ **قال: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»**.

وقد دل الكتاب والسنة عن أصناف الملائكة وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، منهم ملائكة الرحمة، ومنهم ملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بالتسبيح والتقديس إلى غير ذلك.

ولفظ «**الملك**» يشعر بأنه رسول منفِّذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾[الأنبياء:٢٧].

obeikandl.com

فهم عباد مكرمون، منهم الصافُّون من حول العرش، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم، ولا يتخطاه وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلاهم: الذين عنده: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[الأنبياء].

ومنهم الأملاك الثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل، الموكلون بالحياة، فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم، فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده.

والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارةً يقرن الله تعالى اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر حفّهم بالعرش وحملهم له، ومراتبهم من الدنو، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب:٤٣] .

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[غافر:٧] .

وقال عز وجل: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾[الزُّمَر:٧٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾[فُصِّلَت:٣٨].

وقال تعالى: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[الانفطار:١١].

وقال سبحانه: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[المطفِّفين:٢١].

وكذلك الأحاديث طافحةٌ بذكرهم، ولهذا كان الإيمان بالملائكة أحد الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان.

أما الأنبياء والمرسلون فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلًا سواهم وأنبياء، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم فعلينا الإيمان بهم جملة؛ لأنه لم يأت في عددهم نص.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾[غافر:٧٨].

وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به، على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بيانًا لا يسع أحدًا ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه.

وأما أولو العزم من الرسل فقد قيل فيهم أقوال، أحسنها ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس وقتادة: إنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم **قال**: وهم المذكرون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[الأحزاب:٧].

ومن قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[الشورى:١٣].

وأما الإيمان بمحمد ﷺ : فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالًا وتفصيلًا.

وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن الله تعالى سوى ذلك كتبًا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى.

وأما الإيمان بالقرآن: فالإقرار به، واتباعُ ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب، فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على الرسل أتتهم من عند الله، وأنها حق وهدى ونورٌ وبيان وشفاء. قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٦].

المسلم العاصي غير المكذب: مؤمن

*** قال: (ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين).**

فقد قال رسول الله ﷺ: «**من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له مالنا وعليه ما علينا**».

ويشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام إلى أن الإسلام والإيمان واحد، وأن المسلم لا يخرج عن الإسلام بارتكاب الذنب، مالم يستعجله، والمراد بقوله: **(أهل قبلتنا)** من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة وإن كان من أهل الأهواء أو من أهل المعاصي، مالم يكذب بشيء مما جاء به الرسول ﷺ.

*** قال: (ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله).**

ويشير الشيخ بهذا إلى الكف عن كلام المتكلمين الباطل، وذم علمهم؛ فإنهم يتكلمون في الإله بغير علم وغير سلطان أتاهم.

قال أبو حنيفة -رحمه الله-: لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه.

وقوله: **(ولا نماري في دين الله)** معناه: لا نخاصم أهل الحق بإلقاء شبهات أهل الأهواء عليهم؛ لأنه في معنى الدعاء إلى الباطل، وتلبيس الحق، وإفساد دين الإسلام.

اتباع السلف الصالح في مسألة خلق القرآن

*** قال: (ولا نُجادلُ في القرآن، ونشهد أنه كلامُ رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلّمه سيد المرسلين محمدًا ﷺ ، وهو كلام الله تعالى، لا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين).**

وقوله: **(نزل به الروح الأمين)**: هو جبرائيل عليه السلام سمي روحًا لأنه حامل الوحي الذي به حياة القلوب إلى الرسل من البشر -صلوات الله عليهم أجمعين- وهو أمين حق أمين -صلوات الله عليه-.

قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة].

فإن الرسول هنا هو محمد ﷺ.

وقوله: **(ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين)**. تنبيه على أن من قال بخلق القرآن فقد خالف جماعة المسلمين، فإن سلف الأمة كلهم متفقون على أنه كلام الله بالحقيقة غير مخلوق.

رد على الخوارج والمرجئة والمعتزلة

*** قال: (ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله).**

وأراد بأهل القبلة الذين تقدم ذكرهم في قوله: **(ونسمي أهل قبلتنا مسلمين)**.

ويشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام إلى الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب.

المذنب غير المستحل: مسلم

واعلم -رحمك الله وإيانا- أن باب التكفير وعدم التكفير باب عظمت الفتنة والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم، فالناس فيه في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر، والمخالفة لذلك في اعتقادهم على طرفين ووسط، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية.

فطائفة تقول: لا نكفر من أهل القبلة أحدًا، فتنفي التكفير نفيًا عامًّا، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين، الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى، وأيضًا: فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك، فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل كافرًا.

ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر أحدًا بذنب. بل **يقال:** لا نكفرهم بكل ذنب، ولهذا -والله أعلم- قيده الشيخ -رحمه الله- بقوله: **(ما لم يستحله)** وفي ذلك إشارة إلى أن مراده: الذنوب العملية، لا العلمية.

الذنب منار للمؤمن

وقوله: **(ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب)** ردٌّ على المرجئة، فإنهم **يقولون:** لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة فهؤلاء في طرف، والخوارج في

طرف، فإنهم يقولون بكفر المسلم بكل ذنب، أو بكل ذنب كبير، وكذلك المعتزلة الذين يقولون: يحيط إيمانه كله بالكبيرة فلا يبقى معه شيء من الإيمان، لكن الخوارج يقولون: يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر، والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين! وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار.

الوعيد للقائل ببدعة محرمة ولا تكفير

وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال، لكن في الاعتقادات البدعية، وإن كان صاحبها متأولًا، فيقولون: يكفر كل من قال هذا القول، لا يفرقون بين المجتهد المخطئ وغيره. أو يقولون: يكفر كل مبتدع، وهؤلاء يدخل عليهم في الاثبات العام أمور عظيمة؛ فإن النصوص المتواترة قد دلت على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ونصوص الوعد التي يحتج بها هؤلاء تعارض نصوص الوعيد التي يحتج بها أولئك.

والمقصود هنا: أن البدع هي من هذا الجنس. فإن الرجل يكون مؤمنًا باطنًا وظاهرًا، لكن تأول تأويلًا أخطأ فيه، إما مجتهدًا وإما مفرطًا مذنبًا، **فلا يقال:** إن إيمانه حبط لمجرد ذلك، إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي، بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة، **ولا نقول:** لا يكفر، بل العدل هو الوسط، وهو أن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول، أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به: يقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص، ويبين أنها كفر، **ويقال:** من قالها فهو كافر، ونحو ذلك، وأما الشخص المعين، إذا **قيل:** هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإن من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار؛ لأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدًا مخطئًا